ثانيًا- نفائس
من الباقة (العامة)

١- عظمة الله جلَّ جلاله

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] صفة الحياة متضمِّنةٌ لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القَيُّومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسمُ الله الأعظم: الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى: هو اسمُ الحي القَيُّوم، والحياة التامة تُضاد جميعَ الأسقام والآلام. «زاد المعاد» (جـ٤/ ص٤٠٢).

قال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الجاثية: ٣٧] وله وحده سبحانه العظمة، والجلال والكبرياء، والسلطان والقدرة، والكمال في السموات والأرض ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وهو العزيز الذي لا يُغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه. «التفسير الميسر» (جـ٩/ ص١٢٧)

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ﴾ يا محمد هو ﴿ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ السبع ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد: ٢] فجعلها للأرض سقفًا مسموكًا، قال بعضهم: بعمدٍ لا ترونها، وقال آخرون: بل هي مرفوعة بغير عمد، وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يُقال كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ فهي مرفوعة بغير عمدٍ نراها كما قال ربنا جلَّ ثناؤه ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه. «تفسير الطبري» (جـ١٦/ ص٣٢٢).

قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤] أي: تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي كل عبد لديه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه الذي قهر الأشياء فدانت وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا. «تفسير ابن كثير» (جـ٧/ ص٨٥).

قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧] ما تضمنته هذه الآية الكريمة من فناء كل من على الأرض وبقاء وجهه جلَّ وعلا المتصف

بالجلال والإكرام، جاء موضحًا في غير هذا الموضع كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٥٨] إلى غير ذلك من الآيات، والوجه صفة من صفات الله العلي وصف بها نفسه، فعلينا أن نصدق ربنا، ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق. «أضواء البيان» (جـ٧/ ص٥٠١).

قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ٣١] ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ هو الصوت الذي يسمع من السحاب ،المزعج للعباد فهو خاضع لربه مسبح بحمده، وتسبح ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ خشعًا لربهم خائفين من سطوته ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي هذه النار التي تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي: شديد الحول والقوة، فلا يريد شيئًا إلا فعله، ولا يتعاصى عليه شيء ولا يفوته هارب. «تفسير السعدي» (ص ٤١٤).

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ١٦] الله هو القاهر فوق عباده فوقية مطلقة من كل وجه تليق بجلاله، كل شيء خاضع لجلاله وعظمته، ويرسل على عباده ملائكة يحفظون أعمالهم، ويُحْصونها حتى إذا نزل الموت بأحدهم قبض روحَه مَلَكُ الموت وأعوانه وهم لا يضيعون ما أُمروا به. «التفسير الميسر» (جـ٢/ ص٣٥٦).

٢- تبارك الله رب العالمين

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: جاء بكل بركة وقيل: تقدس، والقدس: الطهارة، **وقال المحققون:** معنى هذه [الصفة] ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال، وأصل البركة الثبوت، ويُقال: تبارك لله ولا يُقال: متبارك ولا مبارك، لأنه لم يرد به التوقيف. «تفسير البغوي» (جـ٣/ ص٢٣٦).

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤] سأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليًا وعلاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ،والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالًا ثم أُمِرَ به فأخرج[(١)].

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الحج: ٦٢] الذي لا يزال ولا يزول، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، كامل الأسماء والصفات، صادق الوعد الذي وعده حق، ولقاؤه حق ودينه حق، وعبادته هي الحق النافعة الباقية على الدوام ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ من الأنداد ﴿ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ «تفسير السعدي» (ص٥٤٣).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٤] كامل القوة، كامل العزة، ومن كمال قوته وعزته، أنَّ نواصي الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. «تفسير السعدي» (ص٥٤٦).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٤)، وأبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (جـ٦/ ص٣٥٢)، والصابوني في «عقيدة أصحاب الحديث».

قال ابن الجوزي: نظرتُ في الأدلة على الحق سبحانه فوجدتها أكثر من الرمل، ورأيتُ من أعجبها أن الإنسان قد يخفي ما لا يرضاه الله، فيظهره الله عليه وحده ولو بعد حين، وينطق الألسنة به وإن لم يُشاهده الناس. «صيد الخاطر» (ص٦٧).

قال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرَّعْد: ١٠] يستوي في علمه تعالى مَن أخفى القول منكم، ومَن جهر به، ويستوي عنده مَن استتر بأعماله في ظلمة الليل، ومن جهر بها في وضح النهار.

«التفسير الميسر» (جـ٤/ ص٢٢٢)

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النُّور: ٣٥] الله بذاته نور، وحجابه نور الذي لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وبه استنار العرش والكرسي والشمس والقمر والنور وبه استنارت الجنة، فكتابه نور وشرعه نور والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور. «تفسير السعدي» (ص٥٦٨).

قال تعالى: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ [النُّور: ٣٥] هو نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، فذلك مثل الهدى يضيء في قلب المؤمن، ولما كان هذا من نور الله، وليس كل أحد يصلح له ذلك ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ الله يوفق لاتباع القرآن مَنْ يشاء من عباده. «التفسير الميسر» (جـ٦/ ص٢٣٩).

٣- عالم الغيب والشهادة

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وعند الله مفاتح الغيب، أي: خزائن الغيب لا يعلمها إلا هو ومنها: علم الساعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام، والكسب في المستقبل، ومكان موت الإنسان، ويعلم كل ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة من نبتة إلا يعلمها، فكل حبة في خفايا الأرض، وكل رطب ويابس، مثبت في كتاب واضح لا لَبْس فيه وهو اللوح المحفوظ.

«التفسير الميسر» (جـ٢/ ص٣٥٤)

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢] هو الله المعبود بحق الذي لا إله سواه، عالم السر والعلن، يعلم ما غاب وما حضر، هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرحيم بأهل الإيمان به.

«التفسير الميسر» (جـ١٠/ ص٩٧)

قال تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود: ٣١] ﴿تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ أي: تستقلهم، وتستهين بهم، والمعنى: ولا أقول لكم إني أملك التصرف في خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولست بمَلَك من الملائكة، ولا أقول لهؤلاء الذين تحتقرون من ضعفاء المؤمنين: لن يؤتيكم الله ثوابًا على أعمالكم فالله وحده أعلم بما في صدورهم وقلوبهم، ولئن فعلتُ ذلك إني إذًا لمن الظالمين. «التفسير الميسر» (جـ٤/ ص١٢).

٤- بيده ملكوت كل شيء

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [المؤمنون: ٨٨] مَلَكَ كل شيء من العالم العلوي، والعالم السفلي، ما نبصره، وما لا نبصره. والملكوت صيغة مبالغة بمعنى الملك ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾ عباده من الشر، ويدفع عنهم المكاره، ويحفظهم مما يضرهم ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ لا يقدر أحد أن يجير على الله ولا يدفع الشر الذي قدره الله، بل ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.

«تفسير السعدي» (ص ٥٥٧)

قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] يعني: يا مالك العباد وما ملكوا وقيل: يا مالك السموات والأرض: ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ يعني ملك النبوة، وقيل: تؤتي الملك مَنْ تشاء محمدًا وأصحابه ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ أبي جهل وصناديد قريش وقيل: في قوله تعالى: ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ فارس والروم. «تفسير البغوي» (جـ ٢/ ص ٢٣).

قال تعالى: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦] لا بيد غيره، وذكر الخير دون الشر، لأنَّ الخير بفضل محض بخلاف الشر، فإنه يكون جزاء لعمل وصل إليه، وقيل: إنه حذف كما حذف في قوله: ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ [النحل: ٨١] وقيل خص الخير: لأن المقام مقام دعاء. ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تعليل لما سبق وتحقيق له.

«فتح القدير» (جـ ١ ص ٣٣٠)

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢٩] ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الفضل بيد الله وحده، وأنه يؤتيه مَنْ يشاء جاء موضحًا

في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧]، وكما في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢]. «أضواء البيان» (جـ٨/ ص١٥٦).

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٧٩-٨٢] الله وحده المنفرد بذلك فيجب أن يفرد بالعبادة والطاعة فلا يخلق ولا يهدي، ولا يمرض ولا يشفي، ولا يطعم ولا يسقي، ولا يميت ولا يحيي، ولا ينفع ولا يغفر الذنوب إلا الله.

«تفسير السعدي» (ص ٥٩٢)

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ [الملك: ٢٠]، ﴿ أَمَّنْ ﴾ مبتدأ ﴿ هَٰذَا ﴾ خبره ﴿ ٱلَّذِى ﴾ بدل من هذا ﴿ هُوَ جُندٌ ﴾ أعوان ﴿ لَّكُمْ ﴾ صلة الذي ﴿ يَنصُرُكُم ﴾ صفة جند ﴿ مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: غيره يدفع عنكم عذابه أي: لا ناصر لكم ﴿ إِنِ ﴾ ما ﴿ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ غرهم الشيطان بأنَّ العذاب لا ينزل بهم. «تفسير الجلالين» (ص ٧٦٥).

٥- من دلائل قدرة الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ [الرَّعْد: ٢] وأجرى الشمس والقمر في السماء فسخرهما فيها لمصالح خلقه، وذللهما لمنافعهم ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب ويفصلوا به بين الليل والنهار ﴿ كُلٌّ يَجْرِى ﴾ كل ذلك يجري في السماء ﴿ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لوقت معلوم وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التي عندها تكور الشمس، ويخسف القمر، وتنكدر النجوم. «تفسير الطبري» (جـ١٦/ ص٣٢٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [الإسراء: ١٢] لما كانت البروج اثني عشر فمتى تكرر الهلال اثني عشر مرة فقد انتقل فيها كلها فصار ذلك سنة كاملة تعلقت به أحكام ديننا من المؤقتات شرعًا أو شرطًا إما بأصل الشرع كالصيام والحج، وإما بسبب من العبد كالعدة ومدة الإيلاء وصوم الكفارة والنذر، وإما بالشرط كالأجل في الدَّين والخيار والأيمان وغير ذلك. «دقائق التفسير» (جـ٢/ ص٢١٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرَّعْد: ١٣] ويُسبِّح الرعد بحمد الله تسبيحًا يدل على خضوعه لربه، وتنزِّه الملائكة ربها مِن خوفها من الله، ويرسل الله الصواعق المهلكة فيهلك بها مَن يشاء من خلقه والكفار يجادلون في وحدانية الله وقدرته على البعث وهو شديد الحول والقوة والبطش بمَنْ عصاه. «التفسير الميسر» (جـ٤/ ص٢٢٥).

٦- وما قدروا الله حق قدره

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره، ثم أخبر عن عظمته فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] روي عن النبي عليه السلام قال: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟**». «تفسير البغوي» (جـ٧/ ص١٣٠).

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] اعلم أن سورة هل أتى على الإنسان سورة عجيبة الشأن من سور القرآن على اختصارها فإنَّ الله سبحانه ابتدأها بذكر كيفية خلق الإنسان من النطفة ذات الأمشاج والأخلاط التي لم يزل بقدرته ولطفه وحكمته يصرفه عليها أطوارًا، وينقله من حال إلى حال إلى أن تمت خلقته، وكملت صورته فأخرجه إنسانًا سويًا سميعًا بصيرًا، ثم لما تكامل تمييزه وإدراكه هداه طريقي الخير والشر والهدى والضلال، وأنه بعد هذه الهداية إما أن يشكر ربه وإما أن يكفره، ثم ذكر مآل أهل الشكر والكفر وما أعد لهؤلاء وهؤلاء، وبدأ أولًا بذكر عاقبة أهل الكفر ثم عاقبة أهل الشكر، وفي آخر السورة ذكر أولًا أهل الرحمة ثم أهل العذاب.

«دقائق التفسير» (جـ٣/ ص٢١)

ينبغي لمن رأى نفسه تسكن للخلق، وتتعرض بالدناءة من الأخلاق أن يعرفها تعظيم خالقها لها فيقول: ألست التي قال فيك: «**خلقت بيدي**» أسجدت لك ملائكتي، وارتضاك للخلافة أرضه، وراسلك واقترض منك واشترى. «صيد الخاطر» (ص ٨١).

٧- عظمة القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ [البروج: ١٢] أي: ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: ذو عظمة ومجد، ووصف القرآن بأنه مجيد لا يعني أن المجد وصف للقرآن نفسه فقط، بل هو وصف للقرآن، ولمن تحمل هذا القرآن فحمله، وقام بواجبه من تلاوته حق التلاوة، فإنه سيكون لهم المجد والعزة والرفعة. «تفسير ابن عثيمين» (جـ٢٣/ ص١٩).

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ [الطارق: ١٣] يفصل بين الحق والباطل، وبين المتقين والظالمين، بل إنه فصل أي قاطع لكل مَنْ ناوأه وعاداه، ولهذا نجد المسلمين لما كانوا يجاهدون الكفار بالقرآن نجدهم غلبوا الكفار، وقطعوا دابرهم، وقضي بينهم، فلما أعرضوا عن القرآن هُزموا، وأذلوا بقدر بُعدهم عن القرآن. «تفسير ابن عثيمين» (جـ ٢٤ص٧).

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ [الطارق: ١٤] أي: القرآن الكريم ما هو باللعب والعبث واللغو، بل هو حق، كلماته كلها حق، أخباره صدق، وأحكامه عدل، وتلاوته أجر، لو تلاه الإنسان كل أوانه لم يمل منه، وإذا تلاه بتدبر وتفكر فتح الله عليه من المعاني ما لم يكن عنده من قبل. «تفسير ابن عثيمين» (جـ٢٤/ ص٧).

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال قتادة: لم يُجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا. «تفسير البغوي» (جـ٥/ ص٣٢١).

قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١] أي: لو جعل في الجبل تمييز، وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله، مع صلابته ورزانته، حذرًا من أن لا يؤدي حق الله في تعظيم القرآن. «تفسير البغوي» (جـ٨/ ص٨٧)

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا ﴾ [الزمر: ٢٣] المعنى: هو القرآن العظيم ﴿ مُّتَشَٰبِهًا ﴾ متشابهًا في حسنه وإحكامه وعدم اختلافه، تثنى فيه القصص والأحكام والحجج والبينات ﴿ مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ تقشعر من سماعه، وتضطرب جلود الذين يخافون ربهم تأثرًا بما فيه من ترهيب ووعيد ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ثم تلين جلودهم وقلوبهم: استبشارًا بما فيه من وعد وترغيب.

«التفسير الميسر» (جـ٨/ ص٢٤٥) و«معجم الفرائد» (ص٩٢)

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٩-١٩٩] لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا: على وجه التعنت والعناد هلا أنزل مفصلًا بلغة العرب، ولأنكروا ذلك فقالوا: ﴿ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [فصلت: ٤٤] أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه؟. «تفسير ابن كثير» (جـ٧/ ص١٨٤).

قال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٦-١٧] هذا تعليم من الله لرسوله عليه السلام في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يُبادر إلى أخذه، ويُسابق الملك في قراءته، فأمره الله إذا جاءه الملك بالوحي، أن يستمع له، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه عليه.

«تفسير ابن كثير» (جـ٧ص٢٧٨)

٨- وأن المساجد لله

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] ولم يقل: وأن المشاهد لله، وقد علم بالنقل المتواتر بل علم بالاضطرار من دين الإسلام: أن الرسول ﷺ: شرع لأمته عمارة المساجد بالصلوات، والاجتماع للصلوات الخمس ولصلاة الجمعة والعيدين وغير ذلك، وأنه لم يشرع لأمته أن يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيرهم لا مسجدًا ولا مشهدًا. «دقائق التفسير» (جـ٢/ ص١٥٠).

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كان الصحابة إذا رأوا أحدًا بنى مسجدًا على قبر نهوه عن ذلك ولما ظهر قبر دانيال بتستر كتب فيه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه فكتب إليه عمر أن تحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرًا، وتدفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به، وكان عمر بن الخطاب إذا رآهم ينتابون مكانًا يصلون فيه لكونه موضع نبي ينهاهم عن ذلك، ويقول: إنما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد، مَنْ أدركته الصلاة فيه فليصل وإلا فليذهب، فهذا وأمثاله كانوا يُحققون به التوحيد الذي أرسل الله به الرسول إليهم، ويتبعون في ذلك سنته ﷺ والإسلام مبني على أصلين: أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع. «دقائق التفسير» (جـ٢/ ص١٥١).

٩- فادعوا الله مخلصين

قال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤] لما ذكر سبحانه ما نصبه من الأدلة على التوحيد أمر عباده بدعائه، وإخلاص الدين له فقال: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: إذا كان الأمر كما ذكر من ذلك فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي أمركم بها ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلك فلا تلتفتوا إلى كراهتهم ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم. «فتح القدير»(جـ٤/ ص٤٨٤).

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩].

قال الشوكاني: «وفي هذه أعظم واعظ وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه المناداة لرسول الله، والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله، فإن هذا مقام رب العالمين الذي خلق جميع المخلوقين، رب الأرباب القادر على كل شيء». «فتح القدير»(جـ٢/ ص٤٥٠).

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فيها من كمال التوحيد العِلمي الاعتقادي، وإثبات الأحَدِيَّة لله، المستلزِمة نفي كُلِّ شَرِكَةٍ عنه، وإثباتِ الصَّمديَّةِ المستلزمةِ لإثبات كُلِّ كمال له مع كونِ الخلائق تَصمُدُ إليه في حوائجها، ونفي الوالد والولد، والكُفْءِ عنه المتضمن لنفي الأصل، والفرع والنظير، والمماثل، مما اختصَّت به وصارت تعدِلُ ثُلُثَ القران.

«زاد المعاد» (جـ٤/ ص١٨١)

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ عبدًا مملوكًا ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]، أي: لشركاء مختلفون متشاجرون متنازعون مختصمون فهو حيران في إرضائهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩] وعبدًا خالصًا

لمالك واحد يعرف مراده، وما يرضيه هل يستويان مثلًا؟ لا يستويان كذلك المشرك هو في حَيْرة وشك والمؤمن في راحة واطمئنان.

«التفسير الميسر» (جـ٨/ ص٢٤٩)، و«معجم الفرائد» مادة (ش ك س)(ص ٦٣)

قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] قال عليه السلام: «**أسلمتُ نفسي إليك**» جعلتُها مُسلَّمَةً لك، تسليمَ العبدِ المملوك نفسَه إلى سيده، ومالكه، وتوجيهُ وجهه إليه: يتضمَّن إقبالَه بالكلِّية على ربه، وإخلاص القصد والإرادة له، وإقراره بالخضوع والذل والانقياد. «زاد المعاد» (جـ٤/ ص٢٤٤).

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أي: طلبًا لرضا الله واعتقادًا راسخًا بصدق وعده ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾ بستان عظيم بأرض عالية طيبة ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ هطلت عليه أمطار غزيرة ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ فتضاعفت ثمراته ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا﴾ تسقط عليها ﴿وَابِلٌ﴾ مطر غزير ﴿فَطَلٌّ﴾ فيكفيه رذاذ المطر ليعطي الثمرة المضاعفة، وكذلك نفقات المخلصين تُقبل عند الله وتُضاعف قلَّت أم كثُرت ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ على السرائر، البصير بالظواهر والبواطن، يُثيب كلًا بحسب إخلاصه.

«التفسير الميسر» (جـ١/ ص٢٧٨)

١٠- إن الحكم إلا لله

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧] فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الشرعي فأمر ونهى فإنه سيحكم بالحكم الجزائي فيُثيب ويُعاقب بحسب ما تقتضيه حكمته، فالاعتراض على حكمه مطلقًا مدفوع، وقد أوضح السبيل وقصَّ على عباده الحق قصًا ليهلك مَنْ هلك عن بينة، ويحيا مَنْ حي عن بينة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ بين عباده في الدنيا والآخرة. «تفسير السعدي» (ص٢٥٨).

قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦] كم من ملك لا تُغني شفاعتهم شيئًا لو شفع إلا بثلاثة شروط: **الأول**: أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة بأن يشفع فيشفع، **الثاني**: أن يرضى عن المشفوع له، **الثالث**: يرضى عن الشافع؛ لأنه لا يمكن أن يأذن للشافع إلا بعد أن يرضى عنه، ولابد أن يرضى عن المشفوع له وإلا فلا تنفع الشفاعة، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] «تفسير ابن عثيمين» (جـ١١ ص١٢).

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١] ألم يبصر هؤلاء الكفار أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها، وذلك بفتح المسلمين بلاد المشركين وإلحاقها ببلاد المسلمين؟ والله يحكم لا معقِّب لحكمه وقضائه وهو سريع الحساب فلا يستعجلوا بالعذاب: فإن كل آتٍ قريب.

«التفسير الميسر» (جـ٤/ ص٢٥٢)

١١- إنَّ الدين عند الله الإسلام

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ يعني: الدين المرضي الصحيح، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة، يُقال: أسلم أي دخل في السلم واستسلم، قال قتادة في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله ودل عليه أولياءه [ولا يقبل غيره ولا يجزي إلا به] «تفسير البغوي» (جـ٢/ ص١٨).

قال ﷺ في الحديث الصحيح «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**»، لا يقتضي هذا أنه إذا صار غريبًا يجوز تركه والعياذ بالله، بل الأمر كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] فالأنبياء كلهم كان دينهم الإسلام الصحيح حديث عياض بن حماد: عن النبي ﷺ. «دقائق التفسير» (جـ٣ص١١٤).

قال ابن القيم: «كان الإسلام في بدايته كالنطفة، فاقتنع بكلمة التوحيد، فلما نفخ فيه الروح احتاج إلى الغذاء، ففرضت الصلاة، فلما تحرك وجبت الهجرة، فلما اشتد وجبت الزكاة، فلما قربت الولادة لزم الحج، فلما ظهر طفلًا حبي بلطف ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ فلما خاف من الزلل والعقاب جاءت بشارة ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾، فلما ترعرع قال المؤدب: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ فلما بلغ أشده واستوى جاء ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾» «بدائع الفوائد» (جـ٣/ ص٥٧٩).

١٢- اهدنا الصراط المستقيم

قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٦] لم يُبيّن هنا مَنْ هؤلاء الذين أنعم عليهم. وبين ذلك في موضع آخر بقوله: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] يُؤخذ من هذه الآية الكريمة: صحة إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم ـ أعني الفاتحة ـ بأن نسأله أن يهدينا صراطهم.

«أضواء البيان» (جـ١/ ص٨)

قال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٦] يهدي به الله ما رضيه الله طرق السلامة، الموصلة إلى دار السلامة، المنزهة عن كل آفة، والمؤمنة من كل مخافة، وهي الجنة، ويُخرجهم من ظلمات الكفر، والجهالات إلى نور الإسلام والهدايات ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بتوفيقه وإرادته. «تفسير القرطبي» (جـ٦/ ص١١٩).

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ [النحل: ٩] أي: على الله تقويم طريق الهدى وتبيينه، وقيل: إن مَنْ سلك السبيل القاصد فعلى الله طريقه، وإلى ذلك مصيره فيكون هذا مثل قوله: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الحجر: ٤١]، ﴿ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ يُريد طريق اليهود والنصارى وغيرهم كعباد الأصنام، والضمير في (منها) يعود على السبيل التي يتضمنها معنى الآية كأنه قال: ومن السبيل جائر فأعاد عليها، وإن كان لم يجرِ لها ذكر لتضمن لفظة السبيل بالمعنى لها. «دقائق التفسير» (جـ٣/ ص١٤٨).

١٣- وأقيموا الصلاة

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] يقول تعالى آمرًا عبيده فيما يُؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة كما قال مقاتل: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة، فأما الصبر فقيل: إنه الصيام، قال القرطبي وغيره: ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر. «تفسير ابن كثير» (جـ١/ ص٢٥١).

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ١] روي عن مجاهد: أنَّ الله تعالى لما خلق الجنة، وأتقن حسنها قال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، ووصف تعالى هؤلاء المفلحين فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ والخشوع سكون الأعضاء والوقار، وهذا إنما يظهر ممن في قلبه خوف واستكانة. «تفسير ابن عطية» (جـ٤/ ص١٣٦).

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨] أي: أمر المؤمنين بعمارة المساجد، وقد قال بعض السلف: إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فحسنوا به الظن وقوله: ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ يتضمن الإيمان بالرسول إذ لا يتلقى ذلك إلا منه وقوله: ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ يريد خشية التعظيم، والعبادة والطاعة وهذه المرتبة العدل بين الناس، ولا محالة أنَّ الإنسان يخشى غيره ويخشى المحاذير الدنيوية. «تفسير ابن عطية» (جـ٣/ ص١٥).

١٤- وبالوالدين إحسانًا

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] حسنًا جميلًا لينًا، قال مجاهد: لا تسميهما، ولا تكنهما وقل: يا أبتاه، يا أماه، وقال مجاهد: إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقذر منهما، ولا تقل لهما: أفٍ حين تميط عنهما الخلاء كما كانا يميطانه عنك صغيرًا. «تفسير البغوي» (جـ ٥/ ص٨٦).

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [الإسراء: ٢٣] لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم، قال مجاهد: معناه إذا رأيت منهما في حال الشيخ الغائط الذي رأياه منك في الصغر، فلا تقذرهما، وتقول أفٍ: والآية أعم من هذا. «تفسير القرطبي» (جـ١٠ / ص٢٤٢).

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٨٣] ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ وأمرناه بالوالدين إحسانًا، وقرن الله في هذه الآية حق الوالدين بالتوحيد، لأنَّ النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثاني ـ وهو التربية ـ من جهة الوالدين، ولهذا قرن تعالى الشكر لهما بشكره فقال: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤].

«تفسير القرطبي» (جـ ٢/ ص١٣)

عن أبي رجاء الهروي قال: «لا تجد سيئ الملكة إلا وجدته مختالًا فخورًا وتلا ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦] ولا عاقًا إلا وجدته جبارًا شقيًا وتلا ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٣٢].

«الدر المنثور» (جـ ٢/ ص٥٣٧)

١٥- ومن يؤمن بالله يهد قلبه

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١] ومَنْ يصدق بالله، يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره، والرضا بقضائه ويسترجع فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ يهدِ قلبه لليقين، والله بكل شيء ذو علم بما كان ويكون، وما هو كائن من قبل أن يكون. «تفسير الطبري» (جـ٢٣/ ص٤٢٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾ [الطلاق: ٣] ومَنْ يتق الله في أموره ويفوضها إليه فهو كافيه، عن ابن مسعود قال: قال الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**مَنْ نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمنًا ألا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله أتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل**». «تفسير الطبري» (جـ٢٣/ ص٤٤٨)، و«تفسير ابن كثير» (جـ٨/ ص١٤٨).

تأمل قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣].

قال المفسرون: هداي رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وكتابي: فوجدته على الحقيقة: أنَّ كل مَنْ اتبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما، فقد سلم من الضلال بلا شك، وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك، إذا مات على ذلك. «صيد الخاطر» (ص١٤٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١] ومَنْ يتعلق بأسباب الله، ويتمسك بدينه وطاعته، فقد وفق لطريق واضح، ومحجة مستقيمة غير معوجة، فيستقيم به إلى رضى الله، وإلى النجاة من عذاب الله، والفوز بجنته.

«تفسير الطبري» (جـ٧ ص٦١)

١٦- وما النصر إلا من عند الله

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] أي: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: الإمداد ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ﴾ بالنصر ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾ تسكن ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ العزيز الذي لا يُغالَب، الحكيم في تدبيره وفعله. يُؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند. «التفسير الميسر» (جـ١/ ص٤٢٥).

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ١٨] يعني جلَّ ثناؤه بقوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم، وإمكانهم من قتلهم وأسرهم فعلنا الذي فعلنا ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يقول: واعلموا أنَّ الله مع ذلك مضعف ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يعني: مكرهم حتى يذلوا، وينقادوا للحق أو يهلكوا. «تفسير الطبري» (جـ١٣/ ص٤٤٩).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧] يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله والحكم بكتابه، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم، ويثبت أقدامكم عند القتال] «التفسير الميسر» (جـ٩/ ص١٦٨).

١٧- ولدار الآخرة خير

قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩] أي: وللدار الآخرة خير للذين اتقوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقة ما نقول لهم، ونخبرهم به من سوء عاقبة الكفر؟.

«تفسير الطبري» (جـ١٦/ ص٢٩٥)

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠-٢١] أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة، ومخالفة ما أنزله الله على رسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ، من الوحي الحق، والقرآن العظيم، أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة، ثم قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ من النضارة أي: حسنة، بهية، مشرقة، مسرورة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تراه عيانًا. «تفسير ابن كثير» (جـ٨/ ص٢٧٩).

قال تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: ٥٧] أي: من أجر الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ لمن جمع بين التقوى والإيمان، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات. «تفسير السعدي» (ص٤٠٠).

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠-٢١].

قال ابن القيم: «تفاوتت عقولُ الخلائق، وظهرت حقائقُ الرجال، فأكثرهم آثَرَ الحلاوةَ المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول، ولم يحتمل مرارةَ ساعةٍ لحلاوة الأبد، ولا ذلَّ ساعةٍ لِعزِّ الأبد، ولا محنةَ ساعةٍ لعافيةِ الأبد، فإنَّ الحاضر عنده شهادةٌ، والمنتظر غيبٌ، والإيمان ضعيفٌ، وسلطانُ الشهوة حاكم، فتولَّد من ذلك إيثار العاجلة، ورفضُ الآخرة». «زاد المعاد» (جـ٤/ ص١٩٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ ﴾ [النساء: ٧٧] إنَّ مرارةَ الدنيا هي بعينها حلاوةُ الآخرة، يَقلِبُها الله كذلك، وحلاوة الدنيا بعينها مرارةُ الآخرة، ولأنْ ينتقل مِن مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خيرٌ له من عكس ذلك، فإن خُفِيَ عليك هذا، فانظر إلى قول الصادق المصدوق: «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكاره، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ**»[1]. «زاد المعاد» (جـ٤/ ص١٩٥).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ ﴾ [النساء: ٧٧] أعجب العجائب، سرورك بغرورك، وسهوك في لهوك، عما قد خُبِئَ لك، تغتر بصحتك و تنسى دنو السقم، و تفرح بعافيتك غافلًا عن قرب الألم، كأنك لم تسمع بأخبار مَنْ مضى، ولم تر في الباقين ما يصنع الدهر.

«صيد الخاطر» (ص ٢٦)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الحديد: ٢١] سابقوا أيها الناس في السعي إلى أسباب المغفرة من التوبة النصوح، والابتعاد عن المعاصي، لتجزوا مغفرة من ربكم ﴿ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ وهي معدة للذين وحَّدوا الله، واتبعوا رسله ذلك فضل الله الذي يُؤتيه مَنْ يشاء من خلقه. «التفسير الميسر» (جـ١٠/ ص٤٥).

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢)، والترمذي (٢٥٥٩)، وأحمد (جـ٢/ ص٣٨٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

١٨- وتلك الجنة

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨] وأما الذين سعدوا برحمة الله فهم في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ من قدر ما مكثوا في النار قبل دخولهم الجنة، وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين فأدخل الجنة ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ عطاء من الله غير مقطوع عنهم. «تفسير الطبري» (جـ١٥/ ص٤٨٧).

قال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ٦٢] قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل يُعرف به البُكرة و العشي، بل هم في نور أبدًا، ولكنهم يأتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار، وقيل: المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق.

وقال الحسن البصري: كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي، فوصف الله جنته بذلك. «تفسير البغوي» (جـ٥/ ص٢٤٣).

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [هود: ١٠٨] هي سماء الجنة وأرض الجنة، أما قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فالسموات وإن طُويتْ وكانت كالمهل، واستحالتْ عن صورتها فإن ذلك لا يُوجب عدمها وفسادها؛ بل أصلها باق بتحويلها من حال إلى حال كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وإذا بُدلتْ فإنه لا يزال سماء دائمة وأرض دائمة والله أعلم. «دقائق التفسير» (جـ٢/ ص٢٥٨).

قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ [النبأ: ٣٥-٣٦] أي: لا يسمعون في الجنة كلامًا باطلًا لا خير فيه ﴿ وَلَا كِذَّٰبًا ﴾ أي: ولا كذبًا فلا يكذبون، ولا يكذب بعضهم بعضًا، لأنهم على سرر متقابلين قد نزع الله ما في صدورهم من غلٍ

وجعلهم إخوانًا ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] أي: أنهم يجزون بهذا جزاءً من الله سبحانه على أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا، واتقوا بها محارم الله حسابًا كافيًا.

«تفسير ابن عثيمين» (جـ١٦/ ص١١)

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

قال الحسن: إنَّ السلام لا ينقطع عن أهل الجنة وهو تحيتهم، ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠].

وقال يحيى بن معاذ: يا ابن آدم دعاك الله إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه، فإن أجبته من دنياك دخلتها، وإن أجبته من قبرك منعتها. «تفسير القرطبي» (جـ٨/ ص٣٢٩).

١٩- ذلك فضل الله

قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص: ٨٤] أي: مَنْ جاء الله يوم القيامة بإخلاص التوحيد فله خير، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ وهي الشرك بالله ﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: فلا يُثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ إلا جزاء ما كانوا يعملون. «تفسير الطبري» (جـ١٩ ص٦٣٨).

قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] والمعنى: ما جزاء من أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة، قال عكرمة: هل جزاء مَنْ قال: لا إله إلا الله إلا الجنة، وقال الصادق: هل جزاء مَنْ أحسنت إليه في الأزل إلا حفظ الإحسان عليه في الأبد. «تفسير ابن كثير» (جـ٧/ ص٥٠٥).

قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ [يونس: ٥٨] أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق، فليفرحوا فإنه أولى ما يفرحون به، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية، الذاهبة لا محالة.

«تفسير ابن كثير» (جـ٤/ ص٢٧٥)

من عجائب الجزاء في الدنيا: أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف، وشروه بثمنٍ بخسٍ امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ [يوسف: ٨٨].

«صيد الخاطر» (ص٦٦-٦٧)

٢٠- وما تنفقوا من شيء فهو يخلفه

قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٩٢] يعني بذلك جلَّ ثناؤه: لن تدركوا، أيها المؤمنون، البرَّ وهوالبر من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ويرجونه منه، وذلك تفضّله عليهم بإدخالهم جنته، وصرف عذابه عنهم، ولذلك قال كثير من أهل التأويل ﴿ ٱلْبِرَّ ﴾ الجنة، لأنَّ بر الربّ بعبده في الآخرة، إكرامه إياه بإدخاله الجنة. «تفسير الطبري» (جـ٦/ ص٥٨٧).

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [٤: ١٣٤] ذكر تعالى صَفَة أهل الجنة، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ أي: في الشدة والرخاء، والمَنْشَط والمَكْرَه، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال، كما قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [البقرة: ٢٧٤] والمعنى: أنهم لا يشغلهم أمْر عن طاعة الله تعالى، والإنفاق في مَرَاضِيه، والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر. «تفسير ابن كثير» (جـ٢/ ص١١٩).

قال تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٧] إن تنفقوا أموالكم في سبيل الله بإخلاص، وطيب نفس يُضاعف الله ثواب ما أنفقتم، ويغفر لكم ذنوبكم، والله شكورٌ لأهل الإنفاق بحسن الجزاء على ما أنفقوا، حليمٌ لا يُعجِّل بالعقوبة على مَنْ عصاه. «التفسير الميسر» (جـ١٠/ ص١٦٥).

٢١- وبشر الصابرين

قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢].

مِن صور علاج المصيبة: أن يعلم أنَّ الذي ابتلاه بها أحكمُ الحاكمين، وأرحمُ الراحمين، وأنه سبحانه لم يُرسل إليه البلاءَ ليُهلكه به، ولا ليُعذبه به، ولا ليَجْتاحَه، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرُّعه وابتهالَه، وليراه طريحًا ببابه، لائذًا بجانبه، مكسورَ القلب بين يديه، رافعًا قصصَ الشكوى إليه. «زاد المعاد» (جـ٤/ ص١٩٤).

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] أي: لم يُصبْ أحدٌ من الخلق بمصيبة إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ ومَنْ يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك، يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه. «تفسير الطبري» (جـ٢٣/ ص٤٢١).

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥] أي: لنختبرنكم بشيء من خوف ينالكم من عدوكم، وبسنة تصيبكم ينالكم فيها مجاعة، وشدة، وحروب تكون بينكم وبين أعدائكم فينقص لها عددكم، وجدوب تحدث فتنقص ثماركم، كل ذلك امتحان مني لكم حتى يعرف أهل البصائر في دينهم منكم من أهل النفاق فيه. «تفسير الطبري» (جـ٣/ ص٢٢٠).

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦] هذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين: **أحدهما:** أنَّ العبد وأهله وماله مِلْكٌ لله حقيقة، **الثاني:** أنَّ مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولابد أن يُخَلِّفَ الدنيا وراء ظهره، وَيَجِيءَ ربه فردًا كما خلقه أول مرة. «زاد المعاد» (جـ٤/ ص١٨٩).

قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣] أي: تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي: أعطاكم، **قال عكرمة**: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا، والحزن صبرًا ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ متكبر بما أُوتي من الدنيا ﴿فَخُورٍ﴾ يفخر به على الناس. «تفسير البغوي» (جـ٨/ ص٤٠).

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] مَنْ عفا عمن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين ظالمه أن الله يأجره على ذلك، وأبهم الأجر تعظيمًا لشأنه، وتنبيهًا على جلالته، **قال مقاتل**: فكان العفو من الأعمال الصالحة ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي المبتدئين بالظلم، وقيل: لا يحب مَنْ يتعدى في الاقتصاص، ويجاوز الحد فيه.

«فتح القدير» (جـ٤/ ص٥٤١)

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة.

«تفسير القرطبي» (جـ٧/ ص٣٤٤)

٢٢- جزاء المتقين

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ثم أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض فكيف بطولها التي أعدها الله للمتقين فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها. «تفسير السعدي» (ص١٤٨).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩] إذا اتقى العبد ربه وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، جعل له بين الحق والباطل فرقانًا، ورزقه فيما يريد من الخير إمكانًا. «تفسير القرطبي» (جـ٧/ ص٣٩٦).

قال تعالى: ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٧]، هذا الوعد منه جلَّ وعلا وعد به مَنْ اتقاه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ووعد بالرزق أيضًا مَنْ يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها، وذلك في قوله: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، وقد وعد المستغفرين بالرزق الكثير على لسان نبيه نوح في قوله تعالى عنه: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ [نوح: ١٠-١٢] وغيرها من الآيات.

«أضواء البيان» (جـ٥/ ص٥٣١)

٢٣- جزاء الاستقامة

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦] الغَدَق: الواسع الكثير، وماءً غدقًا: أي: واسعًا كثير القطر، والمعنى: وأنه لو سار الكفار من الإنس والجن على طريقة الإسلام، ولم يُحيدوا عنها لأنزلنا عليهم ماءً كثيرًا، ولوسَّعنا عليهم الرزق في الدنيا. «التفسير الميسر» (جـ ١٠/ ص٢٥٦).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] إن الذين قالوا ربنا الله وحده لا شريك له ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ على شريعته ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها.

«التفسير الميسر» (جـ ٨/ ص٤٠٠)

أخبر تعالى عن القرآن الذي أنزله على نبيه الكريم فقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٥] ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يُنجيهم من المهالك، ويُوضح لهم أبين المسالك، فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أحب الأمور، وينفي عنهم الضلالة. «تفسير ابن كثير» (جـ ٣/ ص٦٨).

٢٤- جزاء الاعتصام بالله

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١] ومَنْ يتعلق بأسباب الله، ويتمسك بدينه وطاعته، فقد وفق لطريق واضح، ومحجة مستقيمة غير معوجة، فيستقيم به إلى رضا الله، وإلى النجاة من عذاب الله، والفوز بجنته.

«تفسير الطبري» (جـ٧/ ص٦١)

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٥] فأما الذين جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم، وآمنوا بالله واعتصموا بالقرآن فسيدخلهم في جنته، ويزيدهم ثوابًا ومضاعفة، ورفعًا في درجاتهم من فضله عليهم وإحسانه إليهم، ويهديهم إليه طريقًا واضحًا قوامًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف. «تفسير ابن كثير» (جـ٢/ ص٤٨١)

قال تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ في الكتب المنزلة السابقة ﴿ وَفِى هَٰذَا ﴾ القرآن، وقد اختصَّكم بهذا الاختيار: ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ بأنه بلَّغكم رسالة ربه ﴿ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ﴾ الأمم أن رسلهم قد بلَّغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ فعليكم أن تعرفوا لهذه النعمة قدرها، فتشكروها، وتحافظوا على معالم دين الله بأداء الصلاة بأركانها وشروطها، وإخراج الزكاة المفروضة ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ وأن تلجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى، وتتوكلوا عليه ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ لمن تولاه ﴿ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ لمن استنصره. «التفسير الميسر» (جـ٦/ ص٩١).

٢٥- مسافر إلى الله

قال ابن القيم: «يا منقطعين عن القوم سيروا في بادية الدجى، وانتحبوا بواد الذل، فإذا فتح باب للواصلين، فدونكم فاهجموا هجوم الوانين، وابسطوا أكف ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨] لعل هاتف الرحمة يقول: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾» [يوسف: ٩٢].

«بدائع الفوائد» (جـ٣/ ص٧٣٣)

قال ابن القيم: «لما سافر موسى إلى الخضر وجد في طريقه مس الجوع والنصب، فقال لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، فإنه سفر إلى مخلوق، ولما واعده ربه ثلاثين ليلة وأتمها بعشر، فلم يأكل فيها، لم يجد مس الجوع ولا النصب، فإنه سفر إلى ربه تعالى، وهكذا سفر القلب وسيره إلى ربه لا يجد فيه من الشقاء والنصب ما يجده في سفره إلى بعض المخلوقين. «بدائع الفوائد» (جـ٣/ ص٧٢١).

قال ابن القيم: «خالف موسى الخضر في طريق الصحبة ثلاث مرات، فحلَّ عقدة الوصال بيد: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] أفما تخاف يا مَنْ لم يفِ لربه قط أن يُقال لك في بعض زلاتك: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾» [الكهف: ٧٨] «بدائع الفوائد» (جـ٣ص٧٤٨).

قال ابن القيم: «وهذا الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع، أفتراك ما علمت قرب رحيلك إلى القبر، فهلا بعثت فراش ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤] «بدائع الفوائد» (جـ٣/ ص٧٤٤).

٢٦- أحوال القلوب

ضرب الله مثلًا للقلوب حين ينزل عليها الوحي بتفاوت الأراضي التي ينزل عليها المطر فقال: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [الأعراف: ٥٨] طيب التربة والمادة إذا نزل عليه مطر ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ الذي هو مستعد له ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: بإرادة اللهّ ومشيئته ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ من الأراضي ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أي: إلا نباتًا خاسًّا لا نفع فيه ولا بركة ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ ننوعها ونبينها، ونضرب فيها الأمثال ونسوقها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ اللهّ بالاعتراف بنعمه والإقرار بها، وصرفها في مرضاة الله. «تفسير السعدي» (ص٢٩٢).

قال ابن القيم: القلوب آنية الله في أرضه، فأحبها إليه أرقها، وأصلبها، وأصفاها، شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالتْ في معاني كلامه وآياته المشهودة، ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرف الفوائد. «الفوائد» (ص ٩٨).

تأملت حالة عجيبة، وهي: أن المؤمن تنزل به النازلة فيدعو، ويُبالغ، فلا يرى أثرًا للإجابة فإذا قارب اليأس نظر حينئذٍ إلى قلبه، فإن كان راضيًا بالأقدار، غير قنوط من فضل الله، فالغالب تعجيل الإجابة حينئذٍ، لأنَّ هناك يصلح الإيمان ويهزم الشيطان، وهناك تبين مقادير الرجال، وقد أشير إلى هذا في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] «صيد الخاطر» (ص ١٣٨).

٢٧- واصطبر لعبادته

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: ٦٥] قال الزجاج: تأويله والله أعلم: هل تعلم له سميًا يستحق أن يُقال له: خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون، وعلى هذا لا سَمِيَّ لله في جميع أسمائه؛ لأن غيره وإن سُمِيَ بشيء من أسمائه فلله سبحانه حقيقة ذلك الوصف. «فتح القدير» (جـ٣/ ص٣٤٣).

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] أوما سمعت بأخبار الأخيار في تعبدهم واجتهادهم؟ كان علي رضي الله عنه يبكي بالليل في محرابه حتى تخضل لحيته بالدموع و يقول: [يا دنيا غُري غيري]، وكان الحسن البصري يحيا على قوة القلق، وكان سعيد بن المسيب ملازمًا للمسجد فلم تفته صلاة في جماعة أربعين سنة؟

«صيد الخاطر» (ص ٨٤)

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر: ١٠] وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره، وتعقله حق تعقله، علم أنَّ الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وظفر بهذا الجزاء الخطير، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادر قدره، فضم إلى مصيبته مصيبة أخرى. «فتح القدير» (جـ٤/ ص٤٥٤).

قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] **قال ابن القيم:** «وأما الصَّلاةُ.. فشأنها في تفريح القلب وتقويته، وشرحِه وابتهاجه ولذَّته أكبرُ شأن، **وفيها:** من اتصالِ القلب والروح بالله، وقربه والتنعم بذكره، والابتهاجِ بمناجاته، والوقوفِ بين يديه، واستعمالِ جميع البدن وقُواه وآلاته في عبوديته، وإعطاء كل عضو حظَّه منها، واشتغالهِ عن التعلُّق بالخلق وملابستهم ومحاوراتهم، وانجذابِ قُوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفاطره». «زاد المعاد» (جـ٤/ ص٢٠٩).

٢٨- من وصايا لقمان لابنه

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [لقمان:١٧] بحدودها ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وأمر الناس بطاعة الله واتباع أمره ﴿ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ وانهِ الناس عن معاصي الله، ومواقعة محارمه، ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ من الناس في ذات الله، إذا أنت أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ولا يصدنك عن ذلك ما نالك منهم، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.

«تفسير الطبري» (جـ ٢٠/ ص١٤٢)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨] لا تعرض عنهم تكبرًا، ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ نهي عن التكبر والتجبر، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ تعليل للنهي، والاختيال: هو المرح، والفخور: هو الذي يفتخر على الناس بماله من المال أو الشرف أو القوة أو غير ذلك، وليس منه التحدث بنعم الله، ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى:١١] «فتح القدير»(جـ٥/ ص٤٩٠).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ [لقمان:١٩] أي: توسط فيه والقصد ما بين الإسراع والبطء، قال مقاتل: معناه لا تختل في مشيتك، وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة كقوله: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان:٦٣] ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ انقص منه واخفضه، ولا تتكلف رفعه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة يُؤذي السامع.

«فتح القدير» (جـ ٥/ ص٤٩٠)

٢٩- نادى ربه نداءً خفيًا

قال تعالى: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: ٣] قوله: ﴿ نَادَىٰ ﴾ معناه: بالدعاء والرغبة يُستحب الإخفاء بين العبد ومولاه في الأعمال التي يزكو بها البشر، وفي الدعاء الذي هو في معنى العفو والمغفرة؛ لأنه يدل من الإنسان على أنه خير فإخفاؤه أبعد من الرياء مشتملًا على دعاء، ويُقال وصف بالخفاء؛ لأنه كان في جوف الليل سرًا.

«تفسير ابن عطية» (جـ ٤/ ص ٤)

لما فقد يعقوب عليه السلام ولدًا، وطال الأمر عليه، لم ييأس من الفرج، فأُخذ ولده الآخر، ولم ينقطع أمله من فضل ربه ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾، فإياك أن تستطيل مدة الإجابة، وكن ناظرًا إلى أنه المالك، وإلى أنه الحكيم في التدبير، والعالم بالمصالح، وإلى أنه يريد اختبارك ليبلوا أسرارك، وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك، وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك، إلى غير ذلك. «صيد الخاطر» (ص١٣٩).

قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] يحتمل أن تكون مخاطبة لآل داود ويحتمل أن تكون مخاطبة لآل محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كل وجه ففيها تنبيه وتحريض وسمع عمر بن الخطاب رجلًا يقول: اللهم اجعلني من القليل فقال له عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: أردت قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ فقال عمر رحمه الله: كل الناس أعلم من عمر. «تفسير ابن عطية» (جـ ٤/ ص ٤١٠).

٣٠- وقال ربكم: ادعوني

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] فسر بوجهين: قيل: اعبدوني وامتثلوا أمري أستجب لكم كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الشورى: ٢٦] أي: يستجيب لهم، وقيل: سلوني أعطكم، وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول. «دقائق التفسير» (جـ٢/ ص٣٥٩).

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] الدالة على كمال عظمته وكل أسمائه حسن فاطلبوا منه بأسمائه ما تريدون ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ «واتركوا الذين يُغيِّرون في أسمائه بالزيادة أو النقصان أو التحريف، فسوف يجزون جزاء أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها في الدنيا من الكفر بالله، والإلحاد في أسمائه وتكذيب رسوله. «التفسير الميسر» (جـ٣/ ص١٤١).

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: ٤] اشتعل أي: أسرع فيه الشيب إسراع النار في الحطب، والمعنى: ضعف العظم مني، وإذا ضعف العظم الذي هو عماد البدن ضعف غيره ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ لأنَّ الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه وهذا من أحب الوسائل إلى الله؛ لأنه يدل التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي: لم تكن يا رب تردَّني خائبًا ولا محرومًا من الإجابة. «تفسير السعدي» (ص٤٨٩).

٣١- وبشر المخبتين

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج: ٣٤] وصف سبحانه هؤلاء المخبتين بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: خافتْ وحذرتْ مخالفته، وحصول الوجل منهم عند ذكره سبحانه، دليل على كمال يقينهم، وقوة إيمانهم، ووصفهم بالصبر ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من البلايا والمحن في طاعة الله. «فتح القدير» (جـ٣/ ص٤٥٢).

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج: ٣٤] يُفسره قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٣٥] أي: خافت منه قلوبهم، ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من المصائب، **قال الحسن البصري:** والله لنصبرن أو لنهلكن، ﴿ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج: ٣٥] «تفسير ابن كثير» (جـ٥/ ص٤٢٥).

قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ لم يقل بذكر الله توجل القلوب، بل قال ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ثم قال: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ وإنما يتوكلون عليه لطمأنينتهم إلى كفايته، وأنه سبحانه حسب مَنْ توكل عليه يهديه وينصره، ويرزقه بفضله ورحمته وجوده، فالتوكل عليه يتضمن الطمأنينة إليه والاكتفاء به عما سواه، وكذلك قال في الآية الأخرى ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ فهم مخبتون والمخبت المطمئن الخاضع لله.

«النبوات» لابن تيمية (ص٨٣)

٣٢-ربنا لا تزغ قلوبنا

من الأدعية القرآنية قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] والمعنى: يا ربنا، لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك. «تفسير الطبري» (جـ٦/ ص٢١١).

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] والمعنى: يا ربنا لا تَصْرِف قلوبنا عن الإيمان بك بعد أن مننت علينا بالهداية لدينك، وامنحنا من فضلك رحمة واسعة إنك أنت الوهاب: كثير الفضل والعطاء تعطي مَنْ تشاء بغير حساب. «التفسير الميسر» (جـ١/ ص٣٠٧).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] **قال العلامة ابن عثيمين:** احذر إذا رأيت ضالاً أن تقول: هذا ليس أهلًا للهداية؛ لأنَّ هناك فرقًا بين القول بالعموم، والقول بالتعيين، فالقول بالتعيين حرام؛ لأنك قد ترى شخصًا ضالاً وتقول: هذا لا يهتدي، وإذا به يهديه الله عزَّ وجلَّ، والعكس بالعكس، ربما ترى شخصًا مستقيمًا تقول: هذا لا يمكن أن يضل، فإذا به يضله الله، فإياك أن تشهد على معين.

«تفسير ابن عثيمين» (جـ٩/ ص٤)

قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠] ففروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم عن المعاصي، وقيل: احترزوا من كل شيء غير الله، فمَنْ فرَّ إلى غيره لم يمتنع منه، وقيل: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن، وقيل: فروا من الجهل إلى العلم.

«فتح القدير» (جـ٧/ ص٥٠)

٣٣- في قصصهم عبرة

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦] ذكر القرطبي: عدة أوجه منها: بغيه أنه زاد في طول ثوبه شبرًا، وقيل: بغيه استخفافه بهم بكثرة ماله وولده، قاله قتادة: وقيل: بغيه نسبته ما آتاه الله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته.

«تفسير القرطبي» (جـ١٣/ ص٣١٠)

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤] القَلْع: الإزالة، ﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾: أي: كفي عن إنزال الماء، والمعنى: ﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء أنهارًا وبحارًا ﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾ نقص ﴿ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكًا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

«تفسير الجلالين» (ص٢٩١)

قال تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢] المقبوحون: المبعدون عن كل خير، والمعنى: ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ﴾ أي: فرعون وقومه زيادة في عقوبتهم وخزيهم في الدنيا لعنة يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد فهم أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين. «تفسير السعدي» (ص٦١٦).

٣٤- وتلك الأيام

اعلم أنَّ الزمان لا يثبت على حال كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فتارة فقر، وتارة غنى، وتارة عز، وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي، وتارة يشمت الأعادي، فالسعيد مَنْ لازم أصلًا واحدًا على كل حال، وهو تقوى الله، فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عُوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلي حملته. «صيد الخاطر» (ص١٣٧).

اعلم وفقك الله أنه يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه، ومتى رأيت تكديرًا في حال فاذكر نعمة ما شكرت، أو زلة قد فعلت، واحذر من نفار النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر ببساط الحلم، فربما عجل انقباضه، وقد قال الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] «صيد الخاطر» (ص٣١).

مَنْ أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال، قال الله: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦] وقال أبو سليمان الداراني: مَنْ صفى صُفِيَ له، ومَنْ كَدر كُدِرَ عليه، ومَنْ أحسن في ليله كُوفِيء في نهاره، ومَنْ أحسن في نهاره كُوفِيء في ليله «صيد الخاطر» (ص٣١).

لو رأيت أهل القبور في وثاق الأسر، فلا يستطيعون الحركة إلى نجاة ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ: ٥٤] يا منفقًا بضاعة العمر في مخالفة حبيبه والبعد عنه، ليس في أعدائك أشد شرًا عليك منك. «بدائع الفوائد» (جـ٣/ ص٧٣٥).

٣٥- الشيطان يعدكم الفقر

قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] أي: الشيطان يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم ومخالفة الخلاق ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أي: في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء. «تفسير ابن كثير» (جـ١/ ص٧٠٠).

عن عبد الله قال: «إن للإنسان من المَلَكِ لَمَّةً، ومن الشيطان لمة، فاللمة من الملك: إيعاد بالخير وتصديق بالحق، واللمة من الشيطان: إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وتلا عبد الله: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]»[(١)].

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] في وقت وفي أي حال ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ تحس منه بوسوسة وتثبيط عن الخير أو حث على الشر ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لما تقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له فسيحميك من فتنته ويقيك من وسوسته كما قال: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ إلى آخر السورة.

«تفسير السعدي» (ص٣١٣)

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (جـ٥/ ص٥٧٤)، بإسناد جيد، والطبراني في «الكبير» (جـ٩/ ص١٠١)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (ص١٥٧) موقوفًا، وقد رواه غيرهم مرفوعًا والموقوف أصح، قال ابن أبي حاتم: قال أبو زرعة: الناس يوقفونه عن عبد الله، وهو الصحيح. اهـ (العلل لابن أبي حاتم) (جـ٢/ ص٢٤٤).

٣٦- الإيمان بالملائكة

قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات:٥] وصف للملائكة بأنها تدبر الأمر، فجبرائيل موكل بالوحي يتلقاه من الله، وينزل به على الرسل، وإسرافيل: موكل بنفخ الصور يوم القيامة فيفزع الناس ويموتون، ثم ينفخ فيه أخرى فيبعثون، وهو أيضًا من حملة العرش، وميكائيل: موكل بالمطر والنبات، وملك الموت موكل بالأرواح، ومالك: موكل بالنار، ورضوان: موكل بالجنة، وعن اليمين وعن الشمال قعيد موكل بالأعمال، كلٌّ يدبر ما أمره الله به. «تفسير ابن عثيمين»(جـ١٧/ ص٤).

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة:٤٠-٤١] فرق بين الموضعين: الإجابة في الأول: جبريل عليه السلام، لأنه بلَّغه عن الله إلى محمد عليه السلام، وفي الثاني: محمد عليه السلام؛ لأنه بلغه إلى الناس، وإلا فإن الذي قاله ابتداءً هو الله سبحانه.

«تفسير ابن عثيمين»(جـ٢٤/ ص٧)

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨] ميكال: اسم ملك من الملائكة، والمعنى: مَنْ عادى الله وملائكته، ورسله من الملائكة أو البشر، وبخاصة المَلَكان جبريلُ وميكالُ؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم، وميكال وليُّهم، فأعلمهم الله أنه مَنْ عادى واحدًا منهما فقد عادى الآخر، وعادى الله أيضًا، فإنَّ الله عدو للجاحدين ما أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم «التفسير الميسر» (جـ١/ ص١١٢).

٣٧- من أحوال يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩] وسُمِيَ يوم القيامة يوم التغابن؛ لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار، أي أن: أهل الجنة أخذوا الجنة وأخذ أهل النار النار، على طريق المبادلة، فوقع الغبن لأجل مبادلتهم الخير والشر، والجيد بالرديء والنعيم بالعذاب.

«تفسير القرطبي» (جـ١٨/ ص١٣٦)

قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ [النبأ: ١٧] وهو يوم القيامة، وسُمِيَ يوم الفصل؛ لأنَّ الله يفصل فيه بين العباد فيما شجر بينهم، وفيما كانوا يختلفون فيه، فيفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الكفر وأهل الإيمان، وأهل العدوان وأهل الاعتدال، ويفصل فيه أيضًا بين أهل الجنة والنار، فريق في الجنة وفريق في السعير﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ يعني موقوتًا لأجل معدود. «تفسير ابن عثيمين» (جـ١٦/ ص٦).

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣] الصاخة: هي التي تصخ الأسماع، وهي يوم القيامة، سُميتْ بذلك؛ لأنها ذات أهوال وأصوات صاخة، والمعنى: فإذا جاءت صيحة يوم القيامة التي تصم من هولها الأسماع ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ لهول ذلك اليوم ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: لكل واحد منهم أمر يشغله ويمنه الانشغال بغيره. «التفسير الميسر» (جـ١٠/ ص٤٠٩).

تأمل موقفًا من أيام القيامة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] ﴿يُوفِضُونَ﴾: يسرعون، والمعنى: يُبيِّن الله حال الكفار يوم القيامة عند خروجهم من القبور فيقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ مسرعين إلى المحشر كأنه نُصب لهم نُصُب فهم يستبقون إليه ويسرعون، كما كانوا في الدنيا يذهبون إلى آلهتهم التي اختلقوها للعبادة مِن دون الله يهرولون ويسرعون.

«تفسير الجلالين» (ص٧٦٧)، و«التفسير الميسر» (جـ ١٠/ ص٢٦٥)

٣٨- عواقب الدنيا

مَنْ تفكر بعواقب الدنيا، أخذ الحذر، ومَنْ أيقن بطول الطريق تأهب للسفر، ما أعجب أمرك يا مَنْ يوقن بأمر ثم ينساه، و يتحقق ضرر حال ثم يغشاه ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] «صيد الخاطر» (ص ٢٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] إذا علم الإنسان بأنَّ الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته، فإن كان له شيء من الدنيا وقف وقفًا، وغرس غرسًا، و أجرى نهرًا، و يسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له، أو أنْ يصنف كتابًا من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المخلد.

«صيد الخاطر» (ص٣٤)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه، ولا يدري متى يستدعى؟ وإني رأيت خلقًا كثيرًا غرهم الشباب، ونسوا فقد الأقران، وألهاهم طول الأمل. «صيد الخاطر» (ص٢٨).

لما تمكن الحسد من قلوب إخوة يوسف، أري المظلوم مآل الظالم في مرآة ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤] ومتى رأيت القلب قد ترحل عنه حب الله والاستعداد للقائه، وحلَّ فيه حب المخلوق، والرضا بالحياة الدنيا، والطمأنينة بها، فاعلم أنه قد خسف به. «بدائع الفوائد» (جـ ٣/ ص٧٤٣).

٣٩ -ترغيب وترهيب

قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ وقال علي رضي الله عنه: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن عبد إلا ذنبه، فالخوف الذي يحصل عند ذكره هو بسبب من العبد، وإلا فذكر الرب نفسه يحصل الطمأنينة وإلا فما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، كما قال ذلك المريض الذي سُئِلَ كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما اجتمعا في قلب عبد مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف**».

«النبوات» لابن تيمية (ص٨٣)

قال تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢] جمع جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة، بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، لأنَّ مطامع العقلاء محصورة في أمرين، هما جلب النفع ودفع الضر، وضح ذلك في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقوله تعالى في آخر الأنعام: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقوله في الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ «أضواء البيان» (جـ٦/ ص٣٧٢).

٤٠- وما آتاكم الرسول فخذوه

قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [٢: ٢٧٦] يُخبر الله أنه يمحق الربا، أي: يذهبه إما بأن يذهبه بالكلية، من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله، فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويُعاقبه عليه يوم القيامة، كما قال: ﴿ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾ [الأنفال: ٣٧]

«تفسير ابن كثير» (جـ ١/ ص٧١٣)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: ٩٠] الندب بالإحسان إلى المسيء، وترك معاقبته على إساءته، فإن قيل: كيف يصح هذا التأويل في آيات البغي؟ قيل: وجه ذلك والله أعلم: أنه لما أعلم الله عباده بأن ضرر البغي ينصرف على الباغي بقوله: ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ وضمن تعالى نصرة مَنْ بُغِيَ عليه، كان الأولى بمن بُغِيَ عليه شكر الله على ما ضمن من نصره ومقابلة ذلك بالعفو عمن بغى عليه.

«تفسير القرطبي» (جـ١٠/ ص١٦٨)

قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] بكل قول حسن، وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم، أو حثٌ على خير أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى.

«تفسير السعدي» (ص ٣١٣)

قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠] عن النظر إلى مالا يحل إليه، **قال أبو العالية:** كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام، إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار،

حتى لا يقع بصر الغير عليه ﴿ذَٰلِكَ﴾ غض البصر وحفظ الفرج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي: خير لهم وأطهر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ عليم بما يفعلون. «تفسير البغوي» (جـ٦/ ص٣٢).

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] الآية أمر الله تعالى النساء في هذه الآية بغض البصر عن كل ما يكره من جهة الشرع النظر إليه، وفي حديث أم سلمة قالت: كنتُ أنا وعائشة عند النبي ﷺ فدخل ابن ام مكتوم فقال النبي ﷺ: «احتجبن» فقلنا: أعمى فقال النبي ﷺ: «أفعمياوان أنتما»[1] و﴿مِنْ﴾ تحتمل ما تقدم في الأولى، وحفظ الفروج يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ، وأمر الله تعالى بأن (تغض المرأة بصرها عن الرجال الأجانب).

«تفسير ابن عطية» (جـ٤/ ص١٧٨)

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] رب شخص أطلق بصره فحرمه الله اعتبار بصيرته، أو لسانه فحرم صفاء قلبه، أو آثر شبهة في مطعمه فأظلم سره، وحرم قيام الليل وحلاوة المناجاة. «صيد الخاطر» (ص٦٦).

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] مَنْ قارب الفتنة بعدت عنه السلامة، ومَنْ ادعى الصبر، وكل إلى نفسه، ورب نظرة لم تُناظَر! وأحق الأشياء بالضبط والقهر: [اللسان والعين] «صيد الخاطر» (ص٢٦).

(١) أخرجه أبوداود (٤١١٢)، والترمذي (٢٧٨٨)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٤١)، وأحمد (جـ٦/ ص٢٩٦)، وفي سنده نبهان مولى أم سلمة، وهو مجهول، والحديث ضعفه الألباني في «الإرواء» (٦/ ٢١١) وشعيب الأرناؤوط في «تعليقه على المسند» (٢٦٥٧٩).

٤١- وما نهاكم عنه فانتهوا

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] وأنَّ المساجد لعبادة الله وحده، فلا تعبدوا فيها غيره، وأخلصوا له الدعاء والعبادة فيها؛ فإن المساجد لم تُبْنَ إلا ليُعبَدَ اللهُ وحده فيها دون من سواه، ومتابعة رسوله محمد عليه السلام الذي نهى عن اتخاذ القبور مساجد. «التفسير الميسر» (جـ١٠/ ص٢٨٧).

قال تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١] أي: قال أصحاب الكلمة والنفوذ فيهم: لنتخذنَّ على مكانهم مسجدًا للعبادة، وقد نهى الرسول عليه السلام عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ولعن مَن فَعَلَ ذلك في آخر وصاياه لأمته، لأنَّ ذلك من الغلو الذي قد يؤدي إلى عبادة مَن فيها. «التفسير الميسر» (جـ٥/ ص١٢٥).

المؤمن لا يعيب آخاه أو يدعه بما يكره قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾ [الحجرات: ١١] اللَّقَب: اسم يسمّى به الإنسان سوى اسمه الأول، ويراعى فيه المعنى، وهو ما أشعر برفعة المسمّى أو ضعته، والمعنى: ولا يَعِبْ بعضكم بعضًا، ولا يَدْعُ بعضكم بعضًا بما يكره من الألقاب ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ بئس الصفة والاسم الفسوق وهو السخرية واللمز، والتنابز بالألقاب بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ ﴾ من هذه السخرية واللمز والتنابز والفسوق ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب هذه المناهي. «التفسير الميسر» (جـ٩/ ص٢٣٢).

قال تعالى: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ [النحل: ٩٠] الفحشاء: وهو كل قبيح من قول أو فعل، قال ابن عباس: هو الزنى، والمنكر: ما أنكره الشرع بالنهي عنه، والبغي: هو الكبر، والظلم، والحقد، والتعدي، **وحقيقته:** تجاوز الحد وهو داخل تحت المنكر، لكنه تعالى خصه بالذكر اهتمامًا به لشدة ضرره. «تفسير القرطبي» (جـ١٠/ ص١٦٧).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦] **المختال**: المتكبر، **والفخور**: الذي يفتخر على الناس بغير الحق تكبرًا، قال رسول الله عليه السلام: «**بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**». «تفسير البغوي» (جـ ٢/ ص٢١٣).

قال تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٩] **الفارهُ**: الحاذق بالشيء، وفارهون حاذقون. وقيل الفره: الأشر والبطر. والمعنى: الكلام لقوم ثمود قوم صالح أي: بلغت بكم الفراهة والحذق والبطر إلى أن اتخذتم بيوتًا من الجبال الصم الصلاب بطرًا وعبثًا. «معجم الفرائد»، مادة (ف ر ه) (ص٨٥) و«تفسير السعدي» (ص ٥٩٦).

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [لقمان: ٦] قال أبو الصباء البكري: سألتُ ابن مسعود عن هذه الآية فقال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات. «تفسير البغوي» (جـ ٦/ ص٢٨٤).

قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] ينقص الله الربا فيذهبه ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يعني: أنه يُضاعف أجرها يربيها وينميها له كما قال: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

«تفسير الطبري» (جـ ٦/ ص١٥)

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١] أرشدَ عِباده إلى إدخالِ ما يُقِيمُ البدنَ من الطعام والشراب عِوَضَ ما تحلَّل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفعُ به البدنُ في الكمِّية والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافًا، وكلاهما مانعٌ من الصحة جالبٌ للمرض، أعني: عدم الأكل والشرب، أو الإسراف فيه. «زاد المعاد» (جـ ٤/ ص٢١٣).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٧]

[الطيبات] هي المستلذات مما أحله الله لعباده، نهى الذين آمنوا أن يحرموا على أنفسهم شيئًا منها، إما لظنهم أن في ذلك طاعة لله وتقربًا إليه، وأنه من الزهد في الدنيا لرفع النفس عن شهواتها، أو لقصد أن يحرموا على أنفسهم شيئًا مما أحله لهم كما يقع من كثير من العوام من قولهم: حرام عليَّ وحرمته على نفسي. «فتح القدير» (جـ ٢/ ص٦٩).

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل: ٩٢]

المعنى: ولا ترجعوا في عهودكم فيكون مَثَلكم مثل امرأة غزلت غَزْلًا وأحكمته ثم نقضته ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ﴾ تجعلون أيمانكم التي حلفتموها عند التعاهد خديعة لمن عاهدتموه ﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ وتنقضون عهدكم إذا وجدتم جماعة أكثر مالًا ومنفعة من الذين عاهدتموهم ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ﴾ إنما يختبركم الله بما أمركم به من الوفاء بالعهود، وما نهاكم عنه مِن نقضها. «التفسير الميسر» (جـ ٤/ ص٤٦٢).

٤٢- مناجاة

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨] والمعنى: ربنا واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة أحدا سواك، ولا في العبادة غيرك. «تفسير الطبري» (جـ٣/ ص٧٣).

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١] والمعنى: ومن الناس مَنْ يقول: ربَّنا أعطنا عافية في الدنيا وعافية في الآخرة.

«تفسير الطبري» (جـ٤/ ص٢٠٣)

قال تعالى: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤٠] والمعنى: ربّ اجعلني مؤدّيًا ما ألزمتني من فريضتك التي فرضتها عليّ من الصلاة، واجعل أيضًا من ذريتي مقيمي الصلاة لك ربنا وتقبل عملي الذي أعمله لك وعبادتي إياك.

«تفسير الطبري» (جـ١٧/ ص٢٨)

قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤] والمعنى: كن لهما ذليلًا رحمة منك بهما، تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبَّا وقل: ربِّ ارحمهما، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك، كما تعطفا عليّ في صغري، فرحماني وربياني صغيرًا، حتى استقللت بنفسي، واستغنيت عنهما. «تفسير الطبري» (جـ١٧/ ص٤٢٠).

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩] والمعنى: رَبَّنَا آمَنَّا بك وبرسلك، وما جاءوا به من عندك فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وأنت خير مَنْ رحم أهل البلاء، فلا تعذبنا بعذابك. «تفسير الطبري» (جـ١٩/ ص٧٩).

قال تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨] والمعنى: ربّ استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك عليَّ، وتركك عقابي على ما اجترمت وأنت يا ربّ خير مَنْ رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه.

«تفسير الطبري» (جـ١٩ ص٨٥)

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: ٥٩] والمعنى: الْحَمْدُ للهِ على نعمه علينا، وتوفيقه إيانا لما وفَّقنا من الهداية، وأمنة منه على الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدِّين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوّة نبيه. «تفسير الطبري» (جـ١٩/ ص٤٨٢).

قال تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨] والمعنى: ربّ اعف عني، واستر عليّ ذنوبي وعلى والدي ولمن دخل مسجدي ومصلايَ مصلِّيًا مؤمنًا، يقول: مصدّقًا بواجب فرضك عليه. «تفسير الطبري» (جـ٢٣/ ص٦٤٢).

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] والمعنى: اجعلنا ثابتين عليه، أو زدنا منه. قيل: المراد بالإسلام هنا مجموع الإيمان، والأعمال. وقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾ أي: واجعل من ذريتنا. «فتح القدير» (جـ١ ص١٤٢).

قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠] والمعنى: اجعلني واجعل بعض ذريتي مقيمين للصلاة، وإنما خصّ البعض من ذريته؛ لأنه علم أن منهم مَنْ لا يقيمها كما ينبغي، ثم سأل الله سبحانه أن يتقبل دعاءه على العموم، قيل: والمراد بالدعاء هنا: العبادة، فيكون المعنى: وتقبل عبادتي التي أعبدك بها، ثم طلب من الله سبحانه أن يغفر له ما وقع منه، مما يستحق أن يغفره الله وإن لم يكن كبيرًا، لما هو

معلوم من عصمة الأنبياء عن الكبائر. ثم طلب من الله سبحانه أن يغفر لوالديه، وقد قيل: إنه دعا لهما بالمغفرة قبل أن يعلم أنهما عدوان لله سبحانه. «فتح القدير» (جـ٣/ ص١١٣).

قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤] والمعنى: اخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد الفظ الغليظ «فتح القدير» (جـ٣/ ص٢٢٠).

قال تعالى: ﴿رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٤] والمعنى: أي إن أنزلت بهم النقمة يا ربّ فاجعلني خارجًا عنهم. «فتح القدير» (جـ٣/ ص٤٩٦).

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] والمعنى: الحمد لله على هلاك كفار الأمم الخالية، وسلام على عباده الذين اصطفى، والمراد بعباده الذين اصطفى: أمة محمد ﷺ. «فتح القدير» (جـ٤/ ص١٤٥).

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥] والمعنى: ربنا لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين، أو يُفتن الكفارُ بنصرهم، فيقولوا: لو كانوا على حق لما غُلبوا، ونجِّنا برحمتك من القوم الكافرين. «التفسير الميسر» (جـ٣/ ص٤٥٧).

قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤] والمعنى: وكُنْ لأمك وأبيك ذليلًا متواضعًا رحمة بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتًا، كما صبرا على تربيتك طفلًا ضعيف الحول والقوة. «التفسير الميسر» (جـ٥/ ص١٨).

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٞ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرٗا﴾ [الإسراء: ١١١] والمعنى: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزَّه

عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سبحانه وليٌّ مِن خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظِّمه تعظيمًا تامًا بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له. «التفسير الميسر» (جـ٥/ ص١٠٥).

قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩] والمعنى: رب يسِّر لي النزول المبارك الآمن، وأنت خير المنزلين. وفي هذا: تعليم من الله عزَّ وجلَّ لعباده إذا نزلوا أن يقولوا هذا. «التفسير الميسر» (جـ٦/ ص١٢٠).

قال تعالى: ﴿ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨] والمعنى: رب أستجير بك من إغواء الشياطين ووسوستها المغرية على الباطل، والفساد والصد عن الحق، وأستجير بك ـ يا رب ـ مِن حضورهم في شيء من أموري. «التفسير الميسر» (جـ٦/ ص١٨٥).

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩] والمعنى: ربِّ ألْهِمْني ووفقني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، وأن أعمل عملًا صالحًا ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم. «التفسير الميسر» (جـ٦/ ص٤٧٣).

قال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الجاثية: ٣٦] والمعنى: فلله سبحانه وتعالى وحده الحمد على نعمه التي لا تحصى على خلقه رب السموات والأرض وخالقهما ومدبرهما رب الخلائق أجمعين. «التفسير الميسر» (جـ٩/ ص١٢٦).

قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبأ: ١] والمعنى: الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه

الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض، وله الثناء التام في الآخرة وهو الحكيم في فعله الخبير بشؤون خلقه.

«التفسير الميسر» (جـ٧/ ص٣٧٩)

قال تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] واذكر ـ أيها الرسول ـ قصة عبد الله زكريا حين دعا ربه أن يرزقه الذرية لما كَبِرت سنُّه قائلًا: رب لا تتركني وحيدًا لا عقب لي، هب لي وارثًا يقوم بأمر الدين في الناس من بعدي وأنت خير الباقين وخير مَن خلفني بخير. «التفسير الميسر» (جـ٦/ ص٥).

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[الممتحنة: ٥]

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بعذابك لنا، أو تسلط الكافرين علينا فيفتنونا عن ديننا، أو يظهروا علينا فيُفتنوا بذلك، ويقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا العذاب، فيزدادوا كفرًا، واستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها ربنا إنك أنت العزيز الذي لا يُغالَب الحكيم في أقواله وأفعاله. «التفسير الميسر» (جـ١٠/ ص١٠٥).

قال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨] والمعنى: ربِّ اغفر لي ولوالديَّ ولمن دخل بيتي مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات بك، ولا تزد الكافرين إلا هلاكًا وخسرانًا في الدنيا والآخرة.

«التفسير الميسر» (جـ١٠/ ص٢٧١)